

## في عشق القبح ورفض الكمال المطلق



علي قاسم  
كاتب سوري مقيم في تونس

وبالطريقة نفسها تعمل الية الفرز الإبداعي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

القبول بالظفرات، ودورها في عملية التطور، سيفضي حتما إلى القبول بأهمية دور الأخطاء البشرية في تطوير المجتمع، ورفض الفكر المطلق، السائد والأزلي.

كيف تعاملت مجتمعاتنا العربية مع ظاهرة الظفرات.. بالطبع، رفضت قبول الفكرة من جذورها، فكل شيء موجود لغاية مسيئة، وما ينطبق على الطبيعة، ينطبق أيضا على الحياة بتجلياتها المختلفة.

لأكثر من قرنين، عملنا جاهدين على تثبيت الزمن، اكتفينا بتبديل القشور، أما الجوهر فقايت لا يتغير..

خلع الجلاب ولبس البنطلون، لم يكن نتيجة ظفرات متلاحقة، بل استعارة استبدلنا بها لباسا للباس آخر.



**لأكثر من قرنين، عمل العرب  
جاهدين على تثبيت الزمن،  
اكتفوا بتبديل القشور وبعض  
المساحيق الشكلية، أما الجوهر  
فقايت لا يتغير**

الاستغناء عن الجمل والحصان والبغل في تنقلنا، وركوب السيارة والطائرة والدراجة، مجرد استعارات أخرى.

ومارلنا نبحت عن قوالب تكيف من خلالها انظمنا المالية، والصحية، والتعليمية، لتتماشى مع صورة مسبقة ورثناها من أجيالنا.

فقد الزواج، رغم القوانين التي استعرتنا لتتظلم الأسرة، أنقينا على اسمه "عقد نكاح"، والمعاملات المالية بحثنا عن تسميات لها تتطابق مع مفاهيم موروثه هي الأخرى.

السلفية في مجتمعاتنا ليست منهجا فكريا ثقافيا وضعه ابن تيمية، والنهبي، وابن قيم الجوزية، والمزني، ومحمد عبدالوهاب، كما قد يظن

أكثرنا، بل أسلوب حياة، حافظنا عليه مدفونا في أعماقنا، يطفو إلى السطح، من حين لآخر، مهما حاولنا إخفاؤه بالاستعارات، والمساحيق، وأدوات التجميل.

السلفية، هي حرماننا من حق التجربة، وارثنا الخطأ، وعشق القبح، ورفض الكمال المطلق، فما نحن إلا كائنات حية، ينطبق علينا ما ينطبق على الفراشة والدودة والحلزون.

ما كان للتعود الذي نشهده حولنا أن يكون لولا ما يسمى في علوم الأحياء بالـ"طفرة". ولا تحدث هذه الظاهرة العلمية التي شكلت الأساس لعلم التطور، في الطبيعة فقط، بل يشاهد أثرها بوضوح في السلوك البشري، وفي الإنجاز الثقافي والإبداعي.

وإذا عرفنا الطفرة بأنها خلل طارئ يصيب ما هو منظم ومتوقع ومبرمج مسبقا، فإن الأخطاء البشرية هي الأخرى ظفرات بشكل أو بآخر.

في العمل الفني، يعتبر الإبداع بمثابة طفرة تكسر السائد، وتخرق المالوف. والمبدع صانع للظفرات، وإن لم يكن هكذا، ما صنف بين المبدعين. الناقد الفني، ومدقق الفن، هما شخصان قادران على اكتشاف الظفرات بشكل مسبق، وقادران أيضا على رؤية ما يمكن أن تحدثه تلك الظفرات من تغيير وتحديث.

الكمال، على عكس ما قد يتصوره البعض، فاقد للجاذبية، خال من الحياة.. أعمال النحات الفرنسي رودان، المشوهة أحيانا لدرجة القباحة، أكثر جاذبية من عمل ينشد الكمال المطلق، مثل فينوس دي ميلو.

والطريق بين العمليين، اللذين يفصل بينهما زمنا ألفا عام إلا يضع سنوات، مليء بالظفرات وكسر القواعد الفنية المعمول بها.

الكمال الذي بحث عنه الرسام الفرنسي جاك لويس ديفيد، في نزعتة الكلاسيكية الحديثة، وتجسد بوضوح في عمله "قسم الأخوة هوراس"، شق هدوءه وقاربه فنان فرنسي آخر، ينتمي لنفس جيل ديفيد، هو أوجين ديلاكروا، وتجسد ذلك في أشهر أعماله الرومانسية "الحرية تقود الشعب".

طفرة فنية أحدثت نقلة كان لها كبير الأثر في تطور الفن التشكيلي في فرنسا في القرن الماضي.

تأثير الظفرات لا يقتصر على الفنون فقط، بل يمتد ليشمل الحياة بكافة تجلياتها، بدءا من المطبخ ومرورا بخزانة الملابس، والعمود والمساحيق، والتصميم الصناعي والمعماري، وحتى النشاط الذهني، وانتهاء بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ومتلما تعمل الية الانتخاب الطبيعي، التي تفرز بين الظفرات وتختار أصلحتها للبقاء، ونسفي ذلك تطورا، تتخلص نفس الآلية من الظفرات الأخرى، التي لا تلائم مع البيئة والمحيط، ونسفي ذلك انقراضا.

يعتمد المتحف على فكرة المعايشة لكسر المثل الذي قد يصيب زائري المتاحف الشخصية في العادة، ففي رحابه يمكن للزائر أن يتخيل ويتعايش مع روتين يوم كامل في حياة أهم أديب مصري وعربي بدءا من ارتدائه ملابسه وانغماسه في كتاباته وقراءاته المعتادة مرورًا بتجوّله في شوارع الجمالية وجولسه على مقاهيها واكتشاف إسقاطاته العامة التي تخرج من عباءة الحارة إلى المجتمع ككل مثل "سو ظل التخلف في مجتمعاتنا فسبائنا السياح ليتفرجوا علينا بدلا من الآثار".

و"أصحاب المصالح لا يحبون الثورات". ويحاول المتحف، الذي تبلغ مساحته الإجمالية 1600 متر موزعة على طابقين، أن يقدم النصوص الذي وضعه أديب نوبل لنفسه في خطابه وقت استلام الجائزة عام 1992، بتأكيده على أنه نتاج حضارتين تزوجتا في عصر من عصور التاريخ، زواجا موفقا ممثلتين بالحضارتين الفرعونية والإسلامية.

وتتميز أدب نجيب محفوظ بحالة خاصة تجعله محل تقدير دائم كأهم أديب مصر فرواياته استنفدت المستقبل بصورة صادرة فـ"ثرثرة فوق النيل" كانت مؤشرا قويا للهوية التي يتجه إليها المجتمع و"أولاد حارتنا" مثلت بداية حقيقية لمحاربة التطرف بالبحث عن القيم الروحية والوجودية للإنسان، ورواية "القاهرة الجديدة" ما هي إلا توقع مبكر لانتهيار الهوية الوطنية، ويطلها لخوب عبدالدايم لا يزال مثلا يطلق على المناقق الذي يضحى بأي شيء حتى يشره من أجل الوصول السريع.

## متحف نجيب محفوظ يرى النور في الذكرى الـ25 لمحاولة اغتياله

### تكية المتصوفين تعرض إبداعات أديب نوبل وسيرة حرافيشه



المتحف يعتمد على فكرة المعايشة

رواياته بملامحها وعاداتها وتقاليدها وملابسها وشخصيتها. ويتضمن ركنا خاصا بمقهى "الحرافيش" الذي كان يشهد تجمع الأدباء والفنانين بصحبة نجيب محفوظ وخصص له رواية باسمه تتضمن عن قصص لأجيال عائلة سكنت حارة مصرية غير محددة الزمان ولا المكان بدقة وتم تجسيدها في عدة أعمال، منها "الحرافيش" و"المطار" و"شهد الملكة" و"الجوع" و"التوت والنبت" والتي أعاد خلالها إعادة اكتشاف القاهرة التاريخية أدبيا وإنسانيا.

**المتحف يضم قاعات للندوات ومكتبة شخصية ووسائل سمعية بصرية ومؤلفات محفوظ وأغراضه الشخصية**

ويضم المتحف قاعات للندوات ومكتبة شخصية ووسائل سمعية بصرية ومؤلفات محفوظ وأغراضه الشخصية التي تضم كما كبيرا من الكتب.

**زواج بين حضارتين**

يستحضر المتحف، الذي تم اختيار الأديب يوسف القعيد مديرا له، الشخصيات الشهيرة من روايات نجيب محفوظ، بشكل يجعل الزائر يشعر بالفعل أنه بداخلها، فأبطال أعمال، التي تحولت على السينما تم عرضهم بأسماؤهم الروائية وليس الشخصية ليصبح الممثل حيي شاهين هو السيد أحمد عبدالجواد في ثلاثيته (بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية)، والفنانة شادية هي زهرة بطلة رواية "ميرامار".

ربما يحمل المكان تنافسا بين الزمن وتطوراته ما بين البناء العتيق من الخارج الذي فقد الكثير من نقوشه المذهبة الشهيرة والأرضيات الخشبية المستحدثة ووسائل الإضاءة الحديثة وكاميرات المراقبة في الداخل، وما بين الحارات الملائمة التي تعج بالمنجذات التراثية والحديقة التي تجذب السياح، وتجليات الحارة العتيقة التي قدمها أدب محفوظ في

أخرى للمؤلفات التي تضم جميع أعماله بطبعاتها القديمة والحديثة ومنها ما هو منسوخ بخط اليد.

وأعلنت وزيرة الثقافة إيناس عبدالدايم، خلال الافتتاح، عن توفير خمس منح لكتابة السيناريو والرواية والقصة القصيرة وتخفيض بنسبة 50 بالمئة على إصدارات وزارة الثقافة التي سيتم توفيرها داخل المتحف الذي سيخذه الجمهور مجانا لمدة شهر كامل، على أن يعمل بعدها بأسعار رمزية لا تتجاوز دولارا واحدا ولغفرتين يوميا ما بين مسائية وصباحية.

ويتضمن الأعمال المترجمة إلى اللغات الأجنبية وعدة قاعات أخرى تحمل أسماء «الحارة» - رثاء - أحلام الرحيل - أصداء السيرة - تجليات - نوبل. كما نجد في المتحف بعض العلاقات الشخصية للأديب الراحل من بطاقة هويته الشخصية أثناء الشباب ومكتبه وكرسيه ونظارته وملابسه وحذاءه وعماسه، وعليه سجاثر كان يدينها خلال محاولة اغتياله أمام منزله عام 1994، والجواز والقلادات والنياشين والدروع والشهادات التي حصل عليها.

ويضيف الشابوري أن المتحف استغرق وقتا طويلا في التدقيق وجمع المعلومات وربط الأحداث بماداتها التاريخية من أجل تحقيق الهدف الأساسي بمعايشة الزائر مع روح روايات محفوظ ونقل الحالة التي كان يعيشها عند الكتابة إليه، وتسهيل عرض محتويات مكتبته الشخصية التي تضم كما كبيرا من الكتب.

عنصر الفن المعماري المملوكي من مسجد بقبة ضخمة ومذنية صغيرة، ومحراب للتعبد وإقامة الصلاة وحلقات الذكر، بجانب مدرسة كان هدفها مساعدة الأزهر في رسالته العلمية مع لعب دور آخر يتعلق بممارسة خدمات صحية للزائرين.

ويضم المتحف قاعات للندوات وعدة مكتبات عامة ونقدية تضم مكتبة محفوظ الشخصية بعدد 1091 كتابا و779 أخرى تم إهداؤها إليه، وأهم تجاذب الدراسات عن أعمال صاحب نوبل، ووسائل سمعية وبصرية، وقاعة

بعد 13 عاما من التعثر، خرج متحف نجيب محفوظ إلى النور في تكية أبو الدهب الملاصقة للجامع الأزهر، ليتحول المبنى التاريخي العريق، الذي تم بناؤه لإيواء الفقراء المسافرين في عهد المماليك، إلى حاضنة لأعمال أديب نوبل، التي أطرت لتاريخ الحضارة المصرية، وقدمت معالجة مبكرة لمشكلات التفكير المجتمعي وأزمات الهوية الوطنية.

عن تصميم المتحف، وصاحب سيناريو العرض المتحفي، لـ"العرب"، إن متحف نجيب محفوظ سيكون مركزا لتوفير ثقافيا في قلب القاهرة التاريخية ليكمل تاريخ تكية أبو الدهب كمصعد لعابري السبيل والمتصوفين والدرائش وطلاب العلم، وتلك الأدوار ستعود مجددا مع تغير وضعية الموقع وضمه أعمال نجيب محفوظ.

ووفرت الحكومة التمويل اللازم للتغلب على العقبات الإنشائية والمالية، التي لازمتها منذ ولادة فكرته عام 2006، فوفرت 15 مليون جنيه (904 ألف دولار) من الموازنة العامة، لسرعة إنجازها، مع تغيير مساحتها من قاعتين فقط إلى سبع قاعات ويمتدحها من أصل ثلاثة طوابق تتكون منها التكية، واتخذ تجهيزات إنشائية إضافية لتحاكي تضهره من الرطوبة والمياه الجوفية. وربما يعطي تاريخ التكية ذاته، المتحف عناصر جذب إضافية، فوزارة الآثار المصرية تصنفها كثاني أهم مجموعة أثرية تجسد روح العصر الإسلامي بعد مجموعة السلطان الغوري، بما تضمه من تشكيلات فنية تظهر

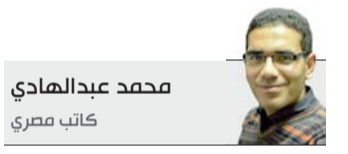
ويحتضن المتحف الذي ترجع فكرة إنشائه إلى 13 عاما مضت، تكية الأمير المملوكي محمد أبو الدهب المواجهة للجامع الأزهر. ويعود تاريخ إنشاء الصحن التاريخي إلى عام 1774، ويعد ثاني أهم مجموعة أثرية تجسد معالم الفن الإسلامي، بعد مجموعة السلطان الغوري القريبة منها، لتمتعه ميزة إضافية بغمس نجيب محفوظ في تاريخ القاهرة القديمة الذي استهوي على كتاباته وحياته.

**مركز تنوير**

لا يخلو اختيار توقيت تدشين المتحف من دلالات ترتبط بسياسة النظام المصري ومعركته ضد الإسلام السياسي، فالافتتاح تزامن مع الذكرى الخامسة والعشرين لمحاولة اغتيال محفوظ على يد متطرفين تنفيذيا لفتوى إهدار دمه التي أطلقها مفتي الجماعة الإسلامية عمر عبدالرحمن ردا على روايته "أولاد حارتنا".

ويؤلى المتحف عناية كبيرة بتلك الحادثة في رسالة على خطورة التطرف الديني فخصص في قلب المتحف حائط كبير سرد قائلها وتداعياتها على حياة الأديب، مع عناية خاصة بـ"أولاد حارتنا"، التي كانت سببا في هجوم التيار الديني عليه، لئلا اقتباساتها الأروقة وتجذب عدسات المصورين خصوصا مقولة "ما أعرف أولاد حارتنا بالحكايات.. فما بالهم لا يعتبرون".

ويقول كريم الشابوري، المسؤول



محمد عبدالهادي  
كاتب مصري



فن لا ينشد الكمال (من أعمال النحات الفرنسي رودان)